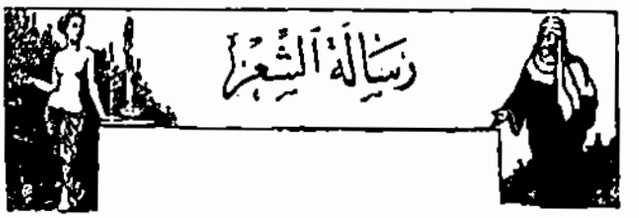

رقدة الملاح

للاستاذ حسن كامل الصيرفي

« نظم الشاعر هذه القصيدة لتلقى فى حفلة التأبين الكبرى التى أقيمت لصديقه الشاعر الخالد على محمود طه بمدينة المنصورة منذ شهور .. وحال بينه المرض وبين السفر إلى هناك ليلقى قصيدته فطويت إلى حين، إلى موعد هذه الذكرى الغالية التى يحييها بأنانه وأياته! »

لم يبق لى فى طريق العمر أحباب ... خلا الطريق وأحباب الرؤى غابوا

كانوا خيالا، وكان العيش حلم كرى ... مضى به قدر للعمر مرتاب

لم أنس آخر لقيانا وقد دمعت ... شمس الأصيل، ورقت منه أطياب

وأنت فى حيرة كان الشفاء بها ... وهما، وخلف صراع الطب وثاب

كدمعة فى جفون العين بارقة ... حتى يحين لها فى الخد انسكاب

روح تشف عن الأحلام حائرة ... والجسم قد شفه سقم وأوصاب

ترنو إلى الأفق الدامى فتحسبه ... فتى من الحزن قد خانته أعصاب

تقضى لياليك بعد الأنس منفرداً ... لم يهو ساحك خلان وأتراب

سأمان ترقب أياما مغربة ... كما تحول نحو الغرب جواب

كحانة فى ظلام الليل نائية ... جفت على صدرها المهجور أنخاب

فى عزلة لم يقصر ليلها سمر ... ولم تكشف دجاها الجهم أكواب

قد لفها الصمت إلا بعض همهمة ... كما تهمهم فى ظلمائها الغاب

قاسيتها بجفنة ما كاد غاشمها ... ينزاح عن كتف العانى وينجاب

حتى تحطم فى استهضامه أمل ... وانهار فى مثل لمح الطرف أطناب

كان اللقاء وداعا، والحديث صدى ... من عالم الغيب لم تدركه ألباب

نشكو جراحاتنا والدمع يحبسه ... عن أن يسيل أبى النفس غلاب

ترجو ونأمل والأقدار ترقبنا ... والموت يحجبه عن وهمنا الباب

يا مرسل النغم العالى صدى ورؤى ... ينصب فى أذن الدنيا وينساب

غنت به ضفتا الوادى ورجمه ... من ألسن الشرق أشهاد وغياب

أضعت عمرك فى الأوهام تجرعها ... كأس امزاج طلاها الشهد والصاب

ما الزهر والخمر فيها غير سائدة ... ألقى عليها ظلال الحزن مرتاب

ظننتها أنت جنات منضرة ... وهى الخرائب فيها اليوم نعاب

خدعت فيها بألوان مزيفة ... وسوف تخدع أجيال وأعقاب

طوت بحاليك واعتالت مشاهدها ... كطائر الأيك قد أعياه نشاب

فنمت والحلم الزاهى على مقل ... غشى عليها ظلال النور إضباب

ومت والنغمة الكبرى على شفة ... لما يتح لصداها المذب إعراب ...

• • •

الليل معتكر، والموج صخاب ... وزورق الحلم فى الهوجاء هياب

ملاحه بعد طول التيه قد عقدت ... أجفانه سنة أطيافها آبوا

موسد لم يزعزح جنبه ألم ... ولم يسهده إضناء وإتعاب

ألقى المجاديف وهنى والشراع لقى ... يطويه من سطوات الريح جذاب

كم صارع الموج جياشاً ومضطرباً ... ولم يزعزعه إعصار وإرهاب

منقباً عن جمال الكون تفتنه ... جداول وخميلات وأعشاب

وفتنة من جفون الغيد تشرعها ... إلى القلوت هوى منهن أهداب

والحسن ينبوع فن ظل يقصده ... من عالم الشعر وراد وشراب

أوحى الخوالد فى الدنيا إلى نفر ... تفتحت لهمو فى الخلد أبواب

• • •

رسام سحر الجمالى، أين ريشته ... يفوح منها على القرطاس أطياب؟

كم لوحة من مرائيه منمقة ... فيها من اللمحات الغر خلاب!

قد عطل الموت فنا خالصاً غنيت ... به على كرة الأجيال آداب

حملت والصفوة الأحرار ألوية ... خفاقة تتحدى كل من عابوا

للفن ما اهتز من آمالهم وربا ... والفن مذبح قربان ومحراب

تبتلت فى جلال الفن أنفسهم ... كما تبتل فى المحراب أواب

كل له غاية بسعى ليدركها ... وكم تحقق غايات وآراب ... !

تشاءم القوم حيناً وادعوا خرصاً ... أن القريض ثوى إذمات أقطاب

وأن دولة هذا الفن قد ذهبت ... والشعر لم يتوقف منه دولاب

والشعر مصبح أرواح مجنحة ... إن غاب سرب تبدت فيه أسراب

• • •

إن لم تقم لبناة الفكر أنصاب ... فقد أقيمت لهم فى الفكر أنصاب

وحسبهم من خلود الأرض أنهمو ... لها إلى جنة الفردوس أسباب